

تقسيم الامبراطورية العثمانية

١٨٥٦ - ١٨٦٢ م



الدكتور سيّطان بن محمد سديد القاسمي

تَقْسِيمُ الْأَمْبَارِ طَوْرَتَيْ الْعُمَانِيَّةِ

١٨٥٦ - ١٨٦٢ م

تأليف

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

الطبعة الثالثة

٢٠٠٥ م

تقسيم الإمبراطورية العمانية (١٨٥٦ - ١٨٦٢م)

تأليف الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

الفهرسة: (مكتبة الشارقة) - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

٩٥٣,٤٠٦١

سلطان بن محمد القاسمي

س.م.ت

تقسيم الإمبراطورية العمانية (١٨٥٦-١٨٦٢)/ سلطان بن محمد

القاسمي -. ط ٣ -. الشارقة : المؤلف، ٢٠٠٥

٣٠٣ ص؛ ٢٤×١٧ سم

١ - عمان - تاريخ - العصر الحديث - نوييني بن سعيد (١٨٥٦-١٨٦٢)

٢ - عمان - الأحوال السياسية

أ - العنوان

الترقيم الدولي : ISBN: 9948-406-31-1

© ٢٠٠٥ : حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٩٨٩ - دبي، مطابع مؤسسة البيان للصحافة والنشر

الطبعة الثانية ١٩٩٦ - دبي، مطابع مؤسسة البيان للصحافة والنشر

الطبعة الثالثة ٢٠٠٥ - الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

المقدمة

لا يستطيع المرء إلا أن يقف وقفة إجلال وإعجاب بأولئك الأئمة الأقوياء، الذين حكموا عُمان في فترة كانت فيها الدولة العثمانية مهيمنة على جميع الأراضي العربية، واستطاعوا بشجاعتهم أن يحتفظوا باستقلال دولتهم على مرّ العصور، ضد كثير من النزاعات القبلية والأطماع الخارجية.

وعُمان ليست إلا بلداً فقيراً وناتياً وجلياً، ليست لها ميزات طبيعية خاصة. تلك البلد هي التي أنجبت مؤسس الإمبراطورية العمانية السيد سعيد بن سلطان الذي اتخذ من زنجبار عاصمة لامبراطورية، امتدت في الممالك الإفريقية لمسافة ألف ومائة ميل على الساحل الشرقي لإفريقيا وفي الداخل إلى البحيرات، فكانت زنجبار مفتاح شرق إفريقيا ومركزاً من مراكز الثقافة في المحيط الهندي. وكان التجار العرب والسواحليون، حاملو علم السلطان الأحمر اللون، يكونون إمبراطورية تجارية امتدت من أوغندا شمالاً إلى ملاوي وزامبيا جنوباً وإلى الكونغو غرباً.

كانت أول مغامرة لشركة الهند الشرقية هي فرض الحماية على ممباسا ورفع العلم البريطاني على قلعتها والدخول في اتفاقية مع قبيلة المزاريع. عندما احتج السيد سعيد لدى الحكومة البريطانية، رفضت الحكومة البريطانية تلك الاتفاقية وأنزلت العلم البريطاني من على قلعة ممباسا وسحبت القوات البريطانية منها. إن سياسة الحكومة البريطانية هي سياسة النفس الطويل، وترويض الخصم بالاتفاقيات غير المتكافئة. كان هناك العديد من المنافسين الأقوياء في الميدان لأن العالم الغربي كان قد بدأ في فهم الأهمية السياسية والتجارية لزنجبار كعامل مسيطر على شرق

إفريقيا، وكان تردد الانجليز في احتلالهم لأي جزء من شرق إفريقيا، سببه تخوفهم من تفتت تلك المنطقة إلى عدد من الدول الصغيرة، إذ إن مثل هذه الحالة من الممكن أن تغري واحدة من الدول الغربية للتدخل وتحصل على جزء من الساحل الشرقي لإفريقيا.

كانت سياسة بريطانيا هي جرّ السيد سعيد إلى دائرة نشاطها، وكانت تحاول من خلال علاقات الحماية التي أقامتها معه أن تجره إلى تبعية حميمة تجعل السيد سعيد شبيهاً بكل المهرجات في الهند بلقب وأبهة وقتين، لكن السيد سعيد سرعان ما عقد صلات صداقة مع أمة أخرى على قدر كبير من القوة لموازنة النفوذ المقتصر على بريطانيا والذي وفرته لها الظروف. كانت الحكومة الأمريكية قد تقدمت بطلب إقامة معاهدة مع السيد سعيد فتلقى العرض مستجيباً، وسرعان ما ووفق على الشروط في عام ١٨٣٣م وتم تبادل التصديق على المعاهدة فيما بعد في شهر سبتمبر ١٨٣٥م. واستبد القلق بحكومة الهند إزاء هدف هذه المعاهدة، وما تسفر عنه من نتائج، ولكن الانفعال بلغ ذروته عندما سرت في بومبي ضجة مفادها أن السيد سعيد وافق على حصول الأمريكيين على توكيل تجاري في زنجبار أو أي موقع آخر على الساحل. وتحركت الفرقاطة الملكية البريطانية إيموجين (Imogene) وتوجه كابتن هارت (Capt.Hart) فوراً نحو السيد سعيد. وقد رد السيد سعيد على التفسيرات التي طلبها بأنه كان مستعداً لمنح التجار الانجليز نفس الميزات الممنوحة لتجار الولايات المتحدة الأمريكية. قلص السيد سعيد من ضغط هذه الحليفة المكتسحة وأنشأ ضماناً ضد الشروط المغالية التي قد تظهر في المستقبل. إن أفكار السيد سعيد تكشف عن ذهن صافٍ وماكر ومقدّر للعواقب، وقد نبعت من الموقف بشكل طبيعي للغاية.

عندما تقدمت فرنسا بطلب إنشاء قنصلية فرنسية، تدخلت بريطانيا، ومنعته من مقابلة الفرنسيين وذكرته بالاتفاقيتين اللتين عقدتا عام ١٧٩٨ و ١٨٠٠م واللتين تمنعانه من إقامة علاقات مع الدول الغربية وفرنسا بالذات. تيقن السيد سعيد آخر أيامه أن إمبراطوريته سوف تكون في دائرة النشاط البريطاني الجبار، تابعة وديعة، ستدور حول هذه الكتلة القوية أو حتى تندمج فيها، وتحسباً لشيخوخته، حاول أن يعد ملاذاً محصناً ضد العواصف وأن يحضر لخلفه مهدياً لإمبراطورية جديدة، لكنه، شعوراً بإنهاكه وعدم قدرة الشعب الذي يتزعمه، قصر جهوده على الاحتفاظ بما هو موجود، وعلى تحسين خزينته وتجارته وبالنهاية على تطوير الاقتصاد الذي يسهل على أولاده أعمال التطوير التي ظن أنها ستعطيها ضماناً. هل يخون المستقبل حساباته وآماله؟ إن الاستقرار في الساحل الإفريقي ومهادنة الدول الغربية سمحا له بإنهاء حياته بسلام في تطوير بلده. ولكن ماذا بعد؟

بعد وفاة السيد سعيد اختلف الأبناء فيما بينهم، ففي الممالك العربية اختلف السيد تركي حاكم صحار مع السيد ثويني الذي يحكم الممالك العربية، واختلف السيد برغش مع السيد ماجد الذي يحكم الممالك الإفريقية، والأخطر من ذلك اختلف السيد ثويني مع السيد ماجد، وواجه كل واحد منهما الآخر بادعاءاته. السيد ثويني يطالب بحكم عمان و الممالك الإفريقية في صورة دولة واحدة، والسيد ماجد يطالب باستقلال الممالك الإفريقية عن عمان وتنصيب نفسه سلطاناً عليها. أين ستجد بريطانيا فرصة سانحة أفضل من تلك الفرصة للسير حثيثاً في تنفيذ مخططاتها الرامي إلى تحقيق هدفين أساسيين.

الأول والأكثر إلحاحاً : الوقوف في وجه الفرنسيين حتى لا يتسللوا بنفوذهم الى المنطقة بل والحيلولة دونهم وإقامة علاقات طبيعية مع حكامها.

الهدف الثاني والأبعد مدى وأعمق أثراً هو: الاستحواذ على المنطقة وابتلاعها قطعة قطعة تأميناً لوجودها في الهند ودعماً لاستراتيجيتها.

ونشطت بريطانيا ومندوبوها في المنطقة، وأخذت تمارس أسلوبها المفضل القائم على سياسة فرق تسد.

حين عزم السيد ثويني على شن حملة على أخيه في زنجبار والسواحل لتأكيد وحدة الإمبراطورية العمانية ومنع انسلاخ أي جزء منها، تدخلت بريطانيا بالقوة وأوقفت تلك الحملة، واقرحت التحكيم. وطلبت من الطرفين التعهد بقبول نتيجة التحكيم.

وحينما طلب من السيد ثويني التوقيع على التعهد بقبول قرار الحاكم العام للهند رفض التوقيع على هذا التعهد، وبعد إلحاح من المندوب البريطاني وافق السيد ثويني على التوقيع على التعهد، وقال مقولته المشهورة:

(إني أضع السكين في يد سعادة الحاكم العام وأقدم نفسي لحماً).

قسمت بريطانيا الإمبراطورية العمانية وعينت السيد ثويني سلطاناً على عمان، والسيد ماجد سلطاناً على زنجبار والساحل الإفريقي. كان السيد ماجد يتحدث في مجلسه عن المحاكمة المضحكة كما سماها، ثم ذكر باستغراب ما عبر عنه حاكم بومبي بأن نتيجة التحكيم المرضية مساوية لحصولهم على الهند. ولا غرابة في ذلك، فبعد تقسيم تلك الإمبراطورية أخذت بريطانيا تعقد الاتفاقيات مع سلاطين زنجبار حتى أحكمت قبضتها على شرق ووسط إفريقيا وانفردت دون سائر القوى المنافسة

بالنفوذ والسيطرة والاستقلال في كافة المناطق التي كانت تضمها الإمبراطورية الموحدة التي كان قد خلفها السيد سعيد بن سلطان.

إن تقسيم الإمبراطورية العمانية عزاه بعض المؤرخين لرغبة السيد سعيد في تقسيم تلك الممالك بين أبنائه، ويعتمد المؤرخون في حججهم على الرسالة التي بعث بها السيد سعيد لوزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني. وهذا غير صحيح، حيث إن الرسالة التي بعث بها السيد سعيد لوزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني لا تتضمن هذا المفهوم، وقد استبعدت تلك الرسالة من قرار التحكيم. ويذكر بقية المؤرخين أن تقسيم تلك الإمبراطورية هو من المسلّمات، حيث كان نتيجة لتحكيم بين طرفين متنازعين لم يكلف الباحثون أنفسهم مشقة البحث لمعرفة الحقيقة.

كيف سارت التطورات على هذا النحو المأسوي حتى تحولت إمبراطورية عمان المتماسكة الواعدة إلى مزق وأشلاء؟ ما الأطراف التي شاركت فيها وما دوافعها وكيف حيكت خيوطها؟ هذا ما تجيب عنه هذه الدراسة.

لقد بحثت في مركز وثائق بومبي **Bombay Archives** وفي المكتبة الهندية **India Office Records** في لندن، وفي مركز وثائق زنجبار الوطني **National Archives of Zanzibar** وفي متحف بيودي **Peabody museum** في سيلم بولاية ماساشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية، وفي قسم الوثائق بوزارة الخارجية الفرنسية في باريس، ومركز الوثائق التابع للبحرية الفرنسية في لورين

Archives of the District-Office of the French Navy in lorient

وقرأت عشرات الكتب التي كتبت عن هذا الموضوع. ووقع تحت يدي كثير من الوثائق العربية التي استخدمت في هذه الدراسة.

إن المعلومات المستعملة في هذه الدراسة قد أخذت من مصادر كلها ثقة، وقد وضعتها تحت تدقيق قاسٍ، كانت الحقيقة هدي الوحيد، لقد بحثت عنها بنزاهة وبعناء لأزيل ظلماً وقع زوراً وبهتاناً على السيد سعيد وأبنائه من بعده، فأين يكون السيد سعيد وأبنائه، من مكر وخداع وتزييف شركة الهند الشرقية، ورعاية الحكومة البريطانية لها؟!

المؤلف

المحتويات

٥	- المقدمة
٩	- الفصل الأول
٩	■ تاريخ زنجبار والسواحل
١٠	* الهجرات الإسلامية لشرق إفريقيا
١٢	* البرتغاليون وشرق إفريقيا
٢٢	* آل بوسعيد وشرق إفريقيا
٣٧	* سعيد بن سلطان والقوى الأجنبية في الممالك الإفريقية
٦١	- الفصل الثاني
٦١	■ الخلافات بين أبناء الإمام
٦٤	* بداية الشقاق
٦٩	* حملة السيد ثويني على زنجبار
٨٣	* زنجبار والحملة
١٠١	* فيلكس جونز مبعوثاً إلى مسقط
١٠٨	* الخلاف بين السيد برغش والسيد ماجد
١٢١	- الفصل الثالث
١٢١	■ بعثة تقصي الحقائق
١٣٥	* مسقط قبل وصول البعثة
١٤٢	* زنجبار قبل وصول البعثة
١٥٠	* بعثة العميد كوغان في زنجبار

١٦٥	- الفصل الرابع
١٦٥	▪ تقارير العميد كوغلان
١٦٥	* تقرير مسقط
١٨٣	* تقرير زنجبار
٢١٣	- الفصل الخامس
٢١٣	▪ قرار التقسيم
٢١٣	* قرار حكومة بومباي
٢٤١	* الغدر بالسيد تركي
٢٤٦	اطلاق سراح السيد تركي
٢٥٥	- الملاحق

هذا الكتاب

بعد سنوات قلائل من قدوم السيد سعيد إلى زنجبار، أصبح حلمه بإمبراطورية أفريقية تمتد من المحيط إلى المحيط قد بدأ يتحقق، فقد دان له جميع الساحل الأفريقي من رأس غردافي إلى رأس دلغادو، وأصبحت زنجبار عاصمة لإمبراطوريته الأفريقية. ألا أن قدوم الرجل كان متأخراً، وأن أحلامه وطموحاته كانت مستحيلة التحقيق في القرن التاسع عشر حيث المستكشفين الأوروبيين والإرساليات أفاقوا فجأة على حقيقة أن هناك مكاناً مثل أفريقيا وأنها قارة كانت تستحق الامتلاك.

وهكذا فقد حدث أنه بدلاً من السماح لأبناء السيد سعيد بامتلاك أرض أجدادهم، تقاسمتها أمم أوروبا فيما بينها.

إن هذا الكتاب يتحدى الأكذوبة التي ابتدعتها شركة الهند الشرقية، والقائلة بأن السيد سعيد قد قسم إمبراطوريته بين أبنائه.

كما يقدم هذا الكتاب تفسيراً شاملاً لفترة حيوية على ساحل شرق أفريقيا، ويلقي الضوء على الأسلوب والطريقة التي اتبعتها شركة الهند الشرقية للسيطرة على شرق أفريقيا. كما يجادل بالادلة والبراهين لدحض تلك المغالطات التاريخية التي شوهت تاريخنا العربي.

د. سلطان بن محمد القاسمي

ISBN: 9948-406-31-1



النسخة الكاملة من هذا المؤلف متوفرة في منشورات القاسمي:

منشورات القاسمي

القصباء - مبنى د - الطابق الثالث

ص.ب: 64009 الشارقة

دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 0097165541145

براق: 0097165541664

البريد الإلكتروني: alqasimi.dist@gmail.com

The full copy of this publication is available at
Al Qassimi Publications:

Al Qasimi Publications

AL Qasba – Block D – 3rd floor

P.O box: 64009 sharjah

United Arab Emirates

Tel: 0097165541145

Fax: 0097165541664

Email: alqasimi.dist@gmail.com